

«الوطن القتيل»

يَمْرُدُ إِلَى بَلَادِ الْعَرَبِ»

التقيب فادي غنطوس

تعلمنا التاريخ أنت لا تتعلم من دروس التاريخ» (هيغل)

الناس في السكينة سواء فإن جاءت المحن تباينوا» (ابن خلدون)

في البدء ظلنا أنها «حرب الستين»...

أربعون مضت ليتبين لنا يقيناً أنها حرب «المائة عام»!

هي حرب أهلية بدأت ونحن نلامس سن الرشد وامتدت إلى الوطن الأكبر.

وتحن على مشارف الستين.

هي حروب أهلية إنطلقت شارتها من زاروب في «عين الرمانة» لم يتمتد لها بها

إلى بلاد الشام، لتسقر مؤقتاً على أبواب «باب المندب» محقققة قول الإمام

الشافعي «ولا بد من صناء وإن طال السفر».

توهمنا ونحن مراهقون أن لبنان وحده هو أرض «الحرب الأهلية العربية»

وأنه حصرًا هو بلد الطائفية والطوائف لنكتشف متاخرين أن بلاد العرب

هي بلاد المذهبية والمذاهب.

فيما مضى كان مصطلح «البننة» موازيًا «للبلقنة» أي تقسيم الدول وتقتفيتها،

اليوم تطرح «البننة كحل سياسي» يمعنى تقاسم «ملوك الطوائف والمذاهب»

القاسدين للنفوذ والسلطة في بلد عربي ما.

كان يقول «إن حرية لبنان من حرية سوريا» ولا تغيير حقيقيًّا ومستدامًا في

اللبنان بدون تغيير فعلٍ في سوريا.

تبين لنا ان تدمير «فكرة لبنان» أدى إلى تدمير «فكرة العروبة» أصلًا.

وال المؤسف أنه هناك، وبين الزمرين «زمن الحرية» و«زمن التدمير»، من ابتدع

«زمن النأي بالنفس»، كأننا لم نعد وطنًا له موقف ودور بل ساحة، لكنها

ساحة «الأرض الخلاء» No man's land

أربعون عاماً مضت لنشهد أتنا لم نخرج من الحرب الأهلية، بل دخلنا

في محظور الحروب الأهلية المتالية، فالحروب ليست دائمًا سلاحاً وقتلاً

وتشريدًا وتهجيرًا، إذ للحروب مسالك متعددة، وقد تصبح «نمط حياة

وعيش» وإنما هي حالتنا اليوم؟
الحاديـث عن حرب أهـلية هو أولاً وأخـيراً حـديث عن تـدمير مـقومات وـطن
وـبلاد.

وهـذا التـدمير قد لا يـكون تـدميرًا عـنـفـياً بـالـسـلاحـ، وـقد تكون تـجلـياتـهـ فيـ تـغـيـيرـ
الـنـسـيـجـ الإـجـتمـاعـيـ، وـإـعـتمـادـ سـيـاسـةـ الـلـاـقـانـونـ وـالـمـحـمـيـاتـ، وـتـكـرـيسـ نـهـجـ
الـفـسـادـ وـالـاـفـسـادـ وـتـوزـيعـ المـفـاغـنـ خـارـجـ الـمـحـاسـبـةـ وـالـمـسـاءـلـةـ وـالـتـخـلـيـ عنـ الـقـيـامـ.
بـدـورـ ماـ...ـ فيـ ظـلـ غـيـابـ تـامـ لـماـ تـسـمـيـ «ـبـالـقـوىـ الـحـيـةـ»ـ أوـ الـمـجـتمـعـ الـمـدـنـيـ.

المـؤـلمـ فيـ كـلـ ذـلـكـ إـرـتـضـيـنـاـ هـذـاـ الـمـصـبـرـ، وـإـنـ كـرـهـاـ.
كانـ اـسـلـافـاـنـاـ مـنـ الـكـوـاكـبـيـ وـجـوـرـجـ أـنـطـوـنـيـوسـ وـعـلـىـ عـبـدـ الـراـزـقـ يـعـقـدـونـ
أـنـ نـهـاـيـةـ الـإـنـحـاطـاطـ تـبـدـأـ مـعـ «ـسـقـوـطـ الدـوـلـةـ الـعـمـانـيـةـ»ـ وـلـمـ يـدـرـواـ مـاـ الـذـيـ
سـيـوـجـهـ أـخـفـادـهـمـ.

هـزـأـمـنـاـ مـتـتـالـيـةـ لـمـ تـلـعـمـنـاـ شـيـئـاـ، فـالـنـخـبـ الـعـرـبـيـةـ الـحاـكـمـةـ أـدـخـلـتـ شـعـوبـنـاـ
فيـ الـمـتـاهـاتـ...ـ مـسـتـبـدـلـةـ الـحـربـ الـوطـنـيـ لـتـحرـيرـ فـلـسـطـيـنـ بـحـرـوبـ الـرـدـةـ
الـأـهـلـيـةـ الـتـيـ دـاـخـلـهـاـ مـفـقـودـ وـخـرـجـ مـنـهـاـ شـيـهـ مـسـتـحـيلـ.

هـذـهـ الـنـخـبـ الـعـرـبـيـةـ الـحـاكـمـةـ أـنـجـتـ جـيـهـاـ عـرـبـيـاـ حـيـثـ «ـلـاـ عـشـبـ لـيـطـلـعـ رـبـيعـ وـحـيـثـ
بـتـارـيـخـ الـبـائـسـ فيـ حـاضـرـهـ، إـلـىـ تـصـحـرـ.

هـذـهـ الـنـخـبـ الـحـاكـمـةـ أـنـجـتـ جـيـهـاـ عـرـبـيـاـ حـيـثـ «ـلـاـ عـشـبـ لـيـطـلـعـ رـبـيعـ وـحـيـثـ
لـاـ أـمـلـ لـنـفـتـحـ كـوـةـ ضـوءـ»ـ.

لـكـنـ مـاـ الـعـلـمـ؟ـ

«ـهـلـ يـمـكـنـ عـيـشـ بـدـونـ اـسـبـابـ وـجـيـهـةـ لـلـيـأسـ؟ـ»ـ.

نـحـنـ نـعـلـمـ وـبـدـونـ أـوهـامـ أـنـهـ أـنـهـ كـمـ زـمـنـ «ـإـسـتـحـالـةـ الـعـيـشـ»ـ وـوـسـيـلـتـاـ الـوـحـيـدـةـ كـيـ نـتـحـمـلـ
هـيـ أـنـ لـأـنـرـىـ، نـفـضـ أـعـيـنـاـ وـنـتـسـىـ، نـعـيـشـ فيـ الـنـسـيـانـ خـوـفـاـ مـنـ ذـاـكـرـةـ
الـعـارـ»ـ الـتـيـ تـحـاـصـرـوـنـاـ مـنـ كـلـ الـجـهـاتـ...ـ

تـعـبـنـاـ مـنـ الـهـزـيمـةـ وـأـنـهـكـنـاـ الـمـوتـ...ـ لـكـنـ هـلـ نـسـتـلـمـ؟ـ

أـنـ تـأـتـيـ سـاعـةـ تـعـلـنـ فـيـهـاـ «ـالـشـعـوبـ الـقـتـلـيـةـ»ـ أـنـهـ لـاـ تـرـيـدـ أـنـ تـكـوـنـ الـشـعـوبـ
الـقـتـلـيـةـ فيـ الـوـطـنـ الـعـرـبـيـ الـقـتـلـيـ»ـ.

لـاـ خـيـارـ أـمـامـنـاـ...ـ فـالـاسـتـلـامـ أـمـامـ الـمـغـولـ الـجـدـدـ غـيـرـ وـاردـ.

وـاجـبـ الـعـقـلـ اـنـ يـوـاجـهـ الـحـمـاـقـةـ حـتـىـ الرـمـقـ الـأـخـيـرـ،

لـنـ نـسـتـلـمـ...ـ لـنـ نـسـتـلـمـ...ـ الـيـأسـ خـيـانـةـ.ـ لـيـسـ لـنـاـ سـوـيـ أـنـ نـبـدـأـ....ـ

